

ابعاد الدين في العالم المعاصر

بعد ان كان العالم المعاصر (الجديد) يعاني اليوم من مشاكل وأزمات متعددة، من قبيل: أزمة المعرفة، وأزمة الأمور المعنوية، وأزمة الأمن النفسي، وأزمة الهوية، والأزمة القانونية، وأزمة البيئة المحلية، وغيرها. فالحضارة والمدنية السائدة اليوم عاجزة عن إعطاء تفسير صحيح للوجود. إذ إن العلوم الأساسية المقبولة اليوم لا تمتلك تفسيراً دقيقاً للإنسان. إذ إن المنهج الاستهلاكي للفرضيات العلمية لا يعطي مجالاً للإنسان اليوم كي يدون تفسيراً صحيحاً وقوياً للوجود والإنسان، والغاية من الحياة. والنظرة الجزئية للعلم الطبيعي، التي تمثل ملكة العلوم في عصرنا، لا تستطيع أن تعطي رؤية كلية تجاه العالم؛ إذ إن فقدان العلم الشامل، الذي ينظر إلى كل الوجود نظرة واحدة في آن واحد، ويعطي تعريفاً دقيقاً للوجود وحياة الإنسان، يمثل اليوم المشكلة الرئيسة للبشرية.

لقد سُلِبَت حالة الاطمئنان الروحي من الإنسان اليوم. ويبدو المستقبل أمامه غامضاً مظلماً. وقد أصبح السعي نحو السعادة والكمال أمراً منسياً. وأوجد اعتماد مبدأ الشهوة، والشهوات البدنية الزائلة والفاسدة المفسدة، أزمة أخلاقية للبشرية لا يمكن اجتتابها. كما تسبب زوال القيم، وانهيار كيان الأسرة، بمعضلة معقدة لحياة البشرية المتحضرة، لا يمكن حلها.

تعد الأزمة المعنوية وأزمة الهوية من أهم أزمات العصر الجديد. إذ إن الطرق الإجبارية الجديدة، وتكبير الإنسان بقبضة التكنولوجيا، جعلته غريباً عن نفسه. فكل فرد في المجتمع الإنساني لا يكون على وئام مع هذين الغولين الجديدين سيسحق، وإذا لم يسحق فسينظر إلى تحرُّكه على أنه حركة عقيمة، وتسير في عكس اتجاه الحركة العامة للحياة الإنسانية، وسوف لن تحقِّق مساعيه تلك أية نتيجة تذكر. إن قافلة الحياة الجديدة اليوم تشبه حركة قطار يذهب بجميع ركابه باتجاه ما دون أن

يكون لإرادتهم أي دخل في ذلك. ولو تحرك أحد ركابه بعكس الاتجاه الذي يتحرك تجاهه القطار فإنه سينزل في نهاية المطاف مع الآخرين في النقطة التي يصل إليها القطار!

لقد قضت العلاقات القائمة على «أحقية السلطة» على الأمن القانوني، وجعلت الشعوب الضعيفة عاجزة أمام القوى العظمى، وأمام الحكومات، وفقدت بالتالي أمنها وسلامتها أمام ذوي النفوذ والسطوة. كما أن المساعي النفعية والأنانية للإنسان لاستغلال الثروات الطبيعية جعلت المحيط البيئي يعاني من مشاكل لا يمكن حلها.

لذا كان للدين ابعاداً في العالم المعاصر اليوم من هذه الابعاد :-

- يعطي الدين أجوبة واضحة مطمئنة عن التساؤلات الأساس للبشرية. وأجوبة الدين عن الأسئلة الأساس للإنسان قاطعة وثابتة وحقيقية. وينظر الدين إلى الوجود باعتباره حقيقة قائمة ذات غاية، وإلى النظام الأخلاقي بأنه هو الحاكم على العالم. ويقول الدين للإنسان: من أنت؟ من أين جئت؟ ولماذا جئت؟ وماذا ينبغي أن تفعل؟ وإلى أين ستذهب؟

- يحتفظ الدين بمكانة سامية للإنسان في الخلق والوجود. وعلى الرغم من أن الإنسان العصري رفع شعار الإنسانية، وأن ذاته تفكر بنفسها فقط، إلا أنها أنزلت الله تعالى إلى مرتبة أدنى من الحياة البشرية، ولم تصل بالإنسان إلى المرتبة الإلهية. الدين يسمو بالإنسان إلى ما هو أبعد من الجماد والحياة والنبات، بل إنه ينزله منزلاً أسمى من الملائكة.

- يضيف الدين على الحياة معناها، ويمنح الإنسان فسحة الأمل، ويحرره من القيود الداخلية. وعندما يتحرر من القيود الداخلية فالأولى أنه سيتحرر من القيود الخارجية أيضاً. إن الإنسان المتحرر من النفس سوف لن يقع أسيراً للتكنولوجيا، أو لأي عامل أو أمر خارجي آخر، ولن تعيقه البيروقراطية. يصحح الدين العلاقات الاجتماعية

على المستوى الوطني والدولي. وإن إقامة السلام والعدالة لن تتحقق إلا بمعرفة منزلة الإنسان، والشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى، والإيمان بالمعاد.

وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ حَقًّا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِنَّهُ لَنْ يَظْلِمَ بَنِي الْبَشَرِ إِطْلَاقًا. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالْإِنْسَانِ خَلِيفَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَقَرُّ بِحَرَمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَيَرَى نَفْسَهُ مِمَثِّلًا لِلْحَقِّ تَعَالَى، سَيَتَصَرَّفُ بِشَكْلِ إِلَهِي، وَبِالتَّالِي سَوْفَ لَنْ يَضِيعَ حَقُوقُ سَائِرِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ الْآخَرَى فِي النِّطاقِ الدَّوْلِيِّ، وَلَنْ يَتَجَاوَزَ عَلَى أَيِّ مِنْ أَبْنَاءِ جَلَدَتِهِ فِي النِّطاقِ الْوِطْنِيِّ، وَلَنْ يَجِدَ الْإِجْحَافَ سَبِيلًا إِلَيْهِ، فَلَا يَزْعَجُ الْمُؤْمِنُ، وَلَا يُؤْذِي الْكَافِرَ.

- ينظر الدين إلى الطبيعة والبيئة بأنهما لله تعالى أولاً وأخيراً؛ لأن الوجود مخلوق من قبل الله تعالى وملك يمينه، وقد خول الإنسان بالعرض استعمار الوجود. فهو . أي الإنسان . أمينٌ، ويتصرف بهما على حدّ الضرورة. وانطلاقاً من أن جميع الناس هم عباد رب واحد فلهم الحق في التصرف فيها على قدرٍ متساوٍ، وبشكل عادل. ينظر الدين إلى الطبيعة على أنها فعل الله تعالى، وبالتالي فهي مقدسة، ويعتبر البيئة ثروة للبشرية كافة. ولا يعتبر أي فرد أو قوة مالكاً مطلق العنان للوجود. ومن هنا فإن قوانين الدين تنقذ البيئة من التخریب. وتتسم نداءات الدين بالعمق، والدقة، وبأنها حقيقية، وتبعث على الاطمئنان.

وعلى أية حال أكتفي بهذه الإشارات؛ بسبب ضيق الوقت، وما يسمح به نطاق البحث.

نظراً للمشاكل والقضايا المعقّدة للبشرية اليوم في جميع نقاط العالم، وأزمات الإنسان، ومقتضيات الحالة التي يبحث فيها الإنسان عن الطريق إلى الكمال والسعادة، وهو في خضم تدافع أمواج الاضطرابات والكآبة وحالات اليأس، حيث تكون الماديات والحياة المادية قد أرهقته، فيرمي ببصره نحو نافذة مضيئة، ومخرج من هذا النفق

المظلم. ومن هنا فقد عمت جميع أرجاء المعمورة موجة من التعطش إلى القضايا الروحية، وبخاصة بين أوساط الجيل الصاعد من الشباب. وهذه المسألة تزيد اليوم من عبء الرسالة الملقاة على رجال الدين، وتصبح رسالة أصحاب الأديان الحقيقية، وهي الأديان الإبراهيمية، أثقل. ويصبح الابتعاد عن النزاعات والمجادلات المذهبية، التي لا طائل من ورائها، والتمسك بالحبل الإبراهيمي (أبو جميع الأديان الحقيقية، والأديان التوحيدية)، والتوجه نحو الألفة والحوار، والاتحاد ضد الإلحاد، من واجبات رجال الأديان. وتمثل معرفة عالم اليوم، وظروف الإنسان المعاصر، واحتياجاته، ومعضلاته، أعظم رسالة لأتباع الأديان التوحيدية. كما يُعدُّ الإقبال الصحيح على الدين، والتقديم الصحيح لتعليمات الدين، وبشكل منسجم مع ظروف الزمان وفهم الجيل المعاصر، واستئصال الخرافات والمبالغات والأوهام والموهنات من ساحة الدين، والاستفادة من تعطش الجيل الحالي، واجباً وفرضاً على المؤمنين. إن القلوب المترقبة، والأذواق المتعطشة، في جميع أنحاء العالم هي في حالة بحث عن نقاء وعذوبة المعنويات. وهذه الموجة من الأجواء المعنوية والإقبال على الدين، التي نشاهدها في العالم، تعني انبثاق نوع من التغيير التاريخي، بمعنى أن المسيرة التاريخية إذا كانت خلال القرون الأخيرة تسير نحو ظلام الأجواء غير الدينية فقد تغير مسار التاريخ في ظل الأوضاع الحالية، وأخذ يسير باتجاه الإقبال على الدين والمعنوية. ويجب على المؤمنين بالله الاستفادة القصوى من هذه الظروف.

العلم والدين

سادت العلاقة بين الدين والفلسفة في القرون الماضية أزمة في العلاقة وحصلت تجاذبات عديدة على هذا المسار وسجلت في هذه الأزمة سجلات

طويلة وجادة كان ابرزها تجربة ابي حامد الغزالي في تهافت الفلاسفة وغيرها، وهناك خلاف في وجهات النظر كان سائداً في الحقيقة بين اتجاهات معرفية ثلاثة في العالم الاسلامي تجاذبت الفكر والمعرفة والحقيقة، :-

١- اتجاه يرى ان النص الديني مصدراً دينياً للمعرفة ولو اعترف بمصدر آخر فإنما يعترف به ضمن إطار النص او بما لا يتعارض والنص في بُعد الظاهري.

٢- واتجاه يرى العقل أساساً لكل النشاط المعرفي ويصر على مرجعيته العليا في الحكم على كافة الأمور . ومن ثم يقبل بتطويع النص وتكييفه وفق الناتج في الحكم على كافة الأمور، ومن ثم يقبل بتطويع النص وتكييفه وفق الناتج العقلي دائماً.

٣- اتجاه ثالث يتحفظ على كلا الاتجاهين الاولين إذ يرى بان القلب والشهود الباطني هو الاساسي في العملية المعرفية وبين هذه يرى بأن القلب والشهود الباطني هو الاساس في العملية المعرفية.

وبين هذه الاتجاهات الثلاثة برزت اتجاهات توفيق وجمع (توفق بين العلم والدين) ومن الذين ذهبوا الى التوفيق بين العلم والدين هو ابن رشد إذ أوقع مصالحة بين اتجاه العقل واتجاه النص .

كما ذهب صدر الدين الشيرازي الى تحقيق هذا التصالح، ثم تمثلت المصالحة في الملا حاج هادي السبزواري في ارقى نماذجه .

ويرى بعض الباحثين انه ليس هناك تعارض بين العلم والدين وادلتهم في النص الديني الذي حث على طلب العلم .

وبالتالي في اكثر الباحثين والمفكرين الاسلاميين يرون انه ليس هناك تعارض بين العلم والدين، إذ ان الدين لم يكن يوماً معارضاً للعلم .